MJHSS

Volume (41), Number (1), 2026.
ISSN: 1021-6804. On line ISSN: 3006-8665.

Mutah Journal of Humanities and Social Sciences

Yemen under the Shadow of the Caliphate: Pro-Ottoman Historical Writing - Narratives of Power and Identity

Salameh Naimat *

snaimat@ju.edu.jo

Received:18/1/2026 **Accepted: 17 / 3/2026**

Abstract:

This paper examines pro-Ottoman historical writing in Yemen during the 16th and 17th centuries. It analyzes key texts-such as al-Barq al-Yamānī by al-Nahrawālī, al-Futūḥāt al-Murādiyya by Ibn Dāʿir, and al-Iḥsān by al-Mawzaʿī-that portray the Ottoman Empire as a legitimate Islamic power and the Zaydi imams as rebels. These works function not only as chronicles, but also as ideological instruments that sought to reinforce Ottoman political legitimacy in the region. The study highlights the ways in which historical narratives were shaped by religious and political competition. It also finds that some texts, while overwhelmingly supportive, contain subtle critiques of the administration of the Ottoman state and the practices of some of its local governors. The study calls for a critical reading of these sources in order to understand their role in shaping historical memory and political authority in Ottoman Yemen.

Keywords: Ottoman Empire, Yemen, historiography, Zaydi imams, political discourse, sixteenth century, seventeenth century.

* Department of History, Faculty of Arts, University of Jordan, Jordan.

المجلد(41)، العدد (1)، 2026م.
ISSN: 1021-6804. On line ISSN: 3006-8665.
MJHSS
مجلة مؤتة للدراسات الإنسانية والاجتماعية

اليمن تحت ظلال الخلافة: التأليف التاريخي المؤيد للدولة العثمانية – روايات السلطة والهوية

سلامة النعيمات *
snaimat@ju.edu.jo

تاريخ الاستلام:2026 /1/18 تاريخ القبول: 2026/3/17

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة حركة التأليف التاريخي المؤيد للدولة العثمانية في اليمن خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. يتناول مجموعة من المؤلفات التي ظهرت خلال هذه الفترة، والتي عكست دعمًا واضحًا للوجود العثماني في اليمن، منها: البرق اليماني للنهروالي، والفتوحات المرادية لابن داعر، والإحسان للموزعي، وغيرها. تبرز هذه المؤلفات صورة العثمانيين كحماة للإسلام في مقابل تصوير خصومهم من الأئمة الزيديين كمتمردين على الشرعية. كما تكشف الدراسة عن البعد السياسي والدعائي في تلك الكتابات، حيث لم تكن مجرد تسجيل وقائع تاريخية بل أدوات خطاب سلطوي يسعى لتثبيت مشروعية الحكم العثماني. ومع ذلك، لم تخلُ بعض النصوص من إشارات نقدية لإدارة الدولة وممارسات بعض ولاتها. يهدف البحث إلى قراءة هذه النصوص قراءة نقدية تحليلية تُبرز آليات بناء الرواية التاريخية في سياق التنافس السياسي والمذهبي في اليمن العثماني.

الكلمات المفتاحية: الدولة العثمانية، اليمن، التأريخ، الأئمة الزيديون، الخطاب السياسي، القرن السادس عشر، القرن السابع عشر.

* قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن

المقدمة:

شهدت اليمن خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر (العاشر والحادي عشر الهجريين) حركة نشطة في مجال التأليف التاريخي، تزامنًا مع التحولات السياسية الكبرى التي عصفت بالبلاد، وعلى رأسها دخول العثمانيين وفرض سيطرتهم عليها. وقد أدى هذا الوجود العثماني إلى بروز اتجاهات فكرية متباينة بين المؤرخين اليمنيين وغيرهم من المعاصرين للأحداث، حيث انقسمت مواقفهم بين مؤيد ومعارض. وفي هذا السياق، ظهرت مجموعة من المؤلفات التي تبنت رؤية داعمة للحكم العثماني، معتبرةً إياه امتدادًا للخلافة الإسلامية ومصدرًا للاستقرار السياسي في اليمن.

إن هذه المؤلفات لم تقتصر على توثيق الأحداث العسكرية والإدارية للعثمانيين فحسب، بل سعت أيضًا إلى تقديم مبررات دينية وسياسية تشرعن الوجود العثماني، في مواجهة القوى المحلية المناهضة، لا سيما الأئمة الزيديين. فبعض هذه الكتابات ركز على الانتصارات العثمانية وتصويرها كفتوحات شرعية، بينما تناول بعضها الآخر السياسات الإدارية والتنظيمية العثمانية، مسلطًا الضوء على إنجازات الدولة العثمانية في اليمن، مثل ضبط الأمن، وإعادة هيكلة النظام الإداري، وتعزيز التجارة.

ورغم أهمية هذه المؤلفات في فهم نظرة المؤرخين العثمانيين والمحليين المؤيدين لهم، إلا أنها لم تنل الاهتمام الكافي من قبل الباحثين، وظل الكثير منها غير محقق أو منشور. غير أن السنوات الأخيرة شهدت اهتمامًا متزايدًا بهذا التراث، كما يتجلى في تحقيق كتاب الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل آل عثمان لعبد الصمد بن إسماعيل الموزعي، الذي يمثل أحد أبرز النماذج لهذه الكتابات.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على المؤلفات التاريخية التي دعمت الوجود العثماني في اليمن خلال هذه الفترة، من خلال تحليل مضامينها، واتجاهاتها الفكرية، ودوافع مؤلفيها.

ومن أبرز هذه المؤلفات:

البرق اليماني في الفتح العثماني لقطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي (917–990هـ/1511–1582م).

بلوغ المرام في تاريخ مولانا بهرام لمحمد بن يحيى بن المطيب (القرن العاشر الهجري).

الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية لعبد الله بن صلاح بن داود بن داعر (1007هـ/1598م).

الإحسان في دخول اليمن تحت ظل آل عثمان لعبد الصمد بن إسماعيل الموزعي (1031هـ/1627م).

أحمد بن يوسف فيروز (مطالع النيران فى تاريخ اليمن)

الرحلة اليمانية لشرف بن عبد المحسن البركاتي.

سيتم في هذه الدراسة تحليل هذه النصوص من عدة زوايا، تشمل طبيعة المصادر التي اعتمد عليها المؤلفون، والأساليب السردية التي استخدموها في تأريخ الأحداث، ومدى تأثر كتاباتهم بالتوجهات السياسية والدينية السائدة في عصرهم. كما ستتطرق الدراسة إلى الأهداف التي سعى هؤلاء المؤرخون إلى تحقيقها من خلال كتاباتهم، سواء كانت تبرير الوجود العثماني، أو تعزيز صورة الدولة العثمانية في الذاكرة التاريخية اليمنية، أو حتى دعم سياسات معينة داخل الإدارة العثمانية.

ومن خلال هذا التحليل، تسعى الدراسة إلى تقديم فهم أعمق لكيفية تفاعل المؤرخين مع الأحداث السياسية الكبرى، ودورهم في صياغة الروايات التاريخية التي ظلت مؤثرة في الكتابات التاريخية اللاحقة حول اليمن والعثمانيين.

1- مؤلف قطب الدين محمد بن احمد النهروالي المكي (917 هجري/1511م . 990هجري/ 1582م)" البرق اليماني في الفتح العثماني".

قطب الدين محمد بن احمد النهروالي، مفتي مكة وأحد قضاتها ومؤرخيها، وهو بحكم عمله وبحكم سيطرة الدولة العثمانية على الحرمين الشريفين يمكن ان يوصف بأنه مؤرخ الدولة الرسمي. فقد ربطت قطب الدين النهروالي علاقات وثيقة مع السلطنة العثمانية، حيث التقى خلال رحلاته إلى مصر وإسطنبول بعدد من الشخصيات البارزة في البلاط العثماني. قدمه خسرف باشا، بيلربي مصر، إلى النخبة الحاكمة، كما أتيحت له فرصة لقاء السلطان سليمان القانوني، الذي منحه رداء شرفيًا وأظهر له رعاية خاصة. أسهمت هذه العلاقات في تعزيز مكانته العلمية والسياسية، كما تعرّف على شخصيات مهمة مثل بدر الدين القسوني، طبيب السلطان الشخصي، مما أتاح له تبادل المراسلات العلمية ودعم مساعيه الفكرية. (al-Ḥasanī, 1999) حيث أن المكانة التي تمتع بها قطب الدين بين النخبة السياسية العثمانية أكسبته أيضاً تعيينه مفتياً لمكة. (al-Ḥanbalim, 1973, p. 439)

وعندما جاء الصدر الأعظم العثماني خوجا سنان باشا (ت. 1596) إلى مكة للحج بعد فتح اليمن عام 1571، خدم قطب الدين كمرشد له في الحج (النهروالي، 1967، ص. 11–13). وفي هذه المناسبة زوّده الصدر الأعظم بمعلومات تفصيلية عن حملته التي استمرت ثمانية عشر شهراً، وكلفه بكتابة عمل تاريخي عنها (al-Ḥasanī, 1999)، وبناءً على ذلك نجد انه قد ألف مؤلفه استجابة لرغبة الصدر الأعظم خوجا سنان باشا، وقد تمكن قطب الدين من إكماله في عام 1573، وسماه في اول الامر " الفتوحات العثمانية للاقطار اليمانية " واهداه الى السلطان سليم خان الثاني(ولي الحكم 974هـ / 1566م و توفي: 982 هـ / 1574م) ، ثم زاد على مؤلفه زيادات يسيره، وسماه البرق اليماني، واهداه الى السلطان مراد خان الثالث(تولّى السلطنة: سنة 982 هـ / 1574م وتوفّي: سنة 1003 هـ / 1595 م) وحسبما ذكر في مقدمته اذ يقول :" ... وخدمت به سدة سلطان سلاطين الزمان ، وخليفة الله الاعظم على افراد بني الانسان ... خادم الحرمين الشريفين، السلطان الاعظم . . . السلطان مراد بن السلطان سليم . . . مختصراً يطرق الاستطراد، حيث لم أطلع على تفاصيل ذلك لبعد البلاد وسميته " البرق اليماني في الفتح العثماني " وقد رتبت هذا الكتاب في مقدمة وثلاثة ابواب وخاتمة " (النهروالي، 1967، ص.13–14).

مما انعكس على أسلوبه الذي طغت عليه عبارات الثناء المبالغ فيه على السلطان العثماني وسياساته، في مقابل استخدامه لغة قاسية عند الحديث عن خصوم الدولة، وخصوصًا الزيديين. يبدو أن المؤلف قد تبنى موقفًا دعائيًا يعكس انحيازًا واضحًا للدولة العثمانية، حيث استعمل تعبيرات تحمل رمزية دينية وسياسية مثل "ملك البرين والبحرين" و"خادم الحرمين الشريفين"، لتعزيز مكانة السلطان وربط شرعيته بعزة الإسلام وانتصاراته. في الوقت ذاته، وصف خصوم الدولة بأوصاف شديدة السلبية مثل "الإلحاد" و"طاعة الشيطان"، مما يعكس تحيزًا عاطفيًا يغلب فيه الحكم الأخلاقي على التحليل الموضوعي للأحداث. (النهروالي، 1967، ص13–14).

افتتح النهرولي ايضا كتابه بقصيدة مدحية للسلطان العثماني، حيث مجّد إنجازاته وفتوحاته التي اعتبرها تجسيدًا لعزة الإسلام. وفي الأبيات، يشيد المؤلف بآل عثمان باعتبارهم "أولو العزم" و"خلائف"، معززًا تصورهم كحماة الإسلام وورثة الشرعية السياسية والدينية. يعبر المؤلف في هذه الأبيات عن إعجابه الكبير بالدولة العثمانية وارتباطها بالخلافة الإسلامية، في حين يقدم صورة مثالية لإنجازاتها، متجاهلًا أية جوانب أخرى للصراعات أو التحديات التي واجهتها.

كما أن موقف النهرولي من الزيديين يظهر انحيازه بوضوح، حيث يوجه نقدًا حادًا لطموحاتهم السياسية، واصفًا إياها بـ "السفاهة" و"المكر". في أبيات شعرية أخرى، يعبر عن اعتقاده بأن ملك اليمن، الذي كان يرتبط تاريخيًا بممالك التبع، قد انتقل شرعيًا إلى آل عثمان بعد بني طاهر، مما يجعل أي محاولة من الزيديين لاستعادته عملاً غير مشروع. هذه اللغة تشير إلى رغبة المؤلف في تقديم الدولة العثمانية كصاحبة الحق الشرعي الوحيد في حكم المنطقة، بينما ينزع الشرعية عن خصومها السياسيين والدينيين ولعل أبرز ما يميز موقفه ونظرته اتجـــاه الدولـــة العثمانيـــة قصيدتـــه التي افتتـــح بها مؤلفـــه فيقـــول فيـهـا. (النهروالي، 1967، ص13–14):

لك الله يا مولاي في السر والجهر — على عزة الاسلام والفتح والنصر
كـــذا فليكن فتحُ البلاد اذا سعت — له الهممُ العليا الى شرف الذكر

ويقول فيها:

ملوك تساموا للعلى وخلائفُ — أولو العزم في أزمانهم وأولو الأمر

إلى أن يقول فيها معرياً موقف الزيدين من الدولة العثمانية:

وما يمَنُ إلا ممالك تُبّع — وناهيك من مُلك قديم ومن فخر
وقد ملكتها آل عثمان إذ مضت — بنو طاهر أهل الشهامة والذكر
فهل يطمع الزيديُ في ملك تبع — فيأخذه من آل عثمان بالمكر
تسمى أمير المؤمنين سفاهة — وكاد يسوس الناس بالكذب والغدر

تعكس القصيدة تأييد الشاعر للدولة العثمانية وشرعيتها في حكم اليمن، حيث يربط بين العزة الإسلامية والفتوحات العثمانية، معتبرًا أن الخلفاء العثمانيين يمثلون القيادة الحكيمة وأولو العزم في إدارة شؤون البلاد. كما يشيد بالملوك العظام، مثل تُبّع، ليؤكد أن الحكم العثماني امتداد لممالك عظيمة سابقة، معترفًا بأن العثمانيين ورثوا اليمن بعد بني طاهر. من خلال هذه الأبيات، يسعى الشاعر إلى ترسيخ صورة الدولة العثمانية كحامية للإسلام وصاحبة الحق في الحكم، متجاهلًا الانتقادات التي واجهها العثمانيون في اليمن.

في المقابل، يظهر موقفًا نقديًا حادًا تجاه الزيديين، إذ يستنكر طموحهم السياسي ورغبتهم في انتزاع الحكم من العثمانيين بالمكر والخداع. يرفض الشاعر ادعاء الزيديين بأنهم "أمراء المؤمنين"، ويصف ذلك بالسفاهة، متهمًا إياهم بالكذب والغدر في إدارة الحكم. تعكس هذه الأبيات الصراع السياسي والديني في اليمن خلال تلك الفترة، حيث يؤكد الشاعر على شرعية الحكم العثماني في مواجهة الزيديين، مستخدمًا لغة شعرية حماسية لتعزيز موقفه السياسي والديني.

كما يبرز كتاب البرق اليماني جانبًا آخر من مواقف قطب الدين النهروالي تجاه السلطنة العثمانية، حيث يظهر، على الرغم من تعاطفه الشديد معها ووصفه للثائرين عليها بأوصاف لاذعة، أنه لم يتردد في انتقاد بعض سياساتها وأفعالها. في هذا السياق، ينقل النهروالي شهادة أحمد چلبي، دفتر دار مصر، حول الخسائر البشرية الكبيرة التي تكبدها الجيش العثماني في اليمن، ويشير إلى أن هذه الحملة أدت إلى ذوبان الجنود كما يذوب الملح، في تعبير عن فداحة الخسائر التي لم تُثمر إلا عن نتائج محدودة، إن لم تكن معدومة. (النهروالي، 1967، ص. 91–92).

تعليق النهروالي على كلام أحمد چلبي يعكس إدراكًا عميقًا للمشكلات البنيوية التي واجهتها الإدارة العثمانية في تعاملها مع اليمن، ويظهر في الوقت ذاته انفتاحه على توجيه النقد البناء. فهو ينسب هذا الفشل إلى سببين رئيسيين: الأول غيبي يرتبط بما يصفه بـ "سر إلهي"، والثاني دنيوي يتمثل في الظلم الذي يمارسه الجنود العثمانيون ضد سكان اليمن، والذي يؤدي بدوره إلى تصاعد دعوات المظلومين. هذا الربط بين الظلم الإنساني والعقاب الإلهي يعكس تصورًا أخلاقيًا ودينيًا يفسر فيه النهروالي الأحداث السياسية والعسكرية بعين تتجاوز المنظور المادي. (النهروالي، 1967، ص. 91–92).

انتقاد النهروالي هنا يمثل تحولًا مهمًا في نبرته تجاه السلطنة العثمانية، حيث ينتقل من التمجيد المطلق إلى التشخيص النقدي لمواطن الضعف في سياساتها، خصوصًا في المناطق البعيدة مثل اليمن. هذا الموقف يشير إلى حسه التاريخي وتحليله الواقعي، الذي يجمع بين الولاء للسلطنة العثمانية ووعي بتحدياتها وأخطائها. كما أن تفسيره للأحداث من منظور أخلاقي وديني يعكس بُعدًا آخر في فكره، حيث يرى أن القوة العسكرية والسياسية ليست كافية لضمان النجاح، بل يجب أن تكون مقترنة بالعدالة واحترام حقوق الرعية. من جهة أخرى، يمكن اعتبار هذا الانتقاد انعكاسًا لحس النهروالي بالمسؤولية كمثقف وشاهد على عصره. فقد كان على وعي بأن المبالغة في الثناء دون الإشارة إلى مواطن الخلل قد يؤدي إلى تكرار الأخطاء. وبالتالي، يمكن تفسير موقفه هذا على أنه محاولة لتقديم رؤية إصلاحية تُبرز أهمية العدالة والتقوى كأسس لاستدامة الحكم، حتى في ظل انحيازه الواضح للدولة العثمانية.

يظهر من تحليل نصوص النهروالي أن كتاباته تمثل مصدرًا غنيًا بالمعلومات التاريخية والاجتماعية عن الدولة العثمانية وعلاقتها بالمناطق الخاضعة لسيطرتها، وخصوصًا الحجاز واليمن. على الرغم من انحيازه الواضح للدولة العثمانية، إلا أنه يقدم سردًا يوازن بين الإشادة بإنجازاتها والاعتراف بمواطن الخلل في سياساتها. في السياق العام للنصوص، يتضح أن النهروالي لم يكن مجرد مؤرخ رسمي يمدح السلطان بلا تحفظ، بل كان شاهدًا على عصره يعكس في كتاباته تفاعلًا بين التأييد والنقد، مما يضفي على أعماله قيمة تاريخية واجتماعية فريدة.

فيما يتعلق بالاستقبالات والاحتفالات الرسمية، يصف النهروالي بروتوكولات استقبال رجال الدولة العثمانية عند وصولهم إلى جدة، بما يعكس قوة النظام السياسي العثماني ورغبته في إظهار هيبته. كما يوثق زيارات مشاهير البلاد إلى إسطنبول، التي تكشف عن الديناميكيات السياسية والاجتماعية في ذلك العصر. فهذه الوفادات لم تكن مجرد مناسبات دبلوماسية، بل كانت تعكس صراعًا خفيًا حول النفوذ المحلي، مثل المطالبة بتعيين قضاة من أهل مكة أو تثبيت أميرها في منصبه، مما يشير إلى محاولات سكان الحجاز الحفاظ على نوع من الاستقلال النسبي ضمن إطار الحكم العثماني.

عند الربط بين هذه الأحداث ومواقف النهروالي، يمكن فهم نقده للعثمانيين في سياق إدراكه للتحديات التي تواجه السلطنة في إدارة المناطق البعيدة مثل الحجاز واليمن. فبينما يُبرز عظمة الدولة العثمانية في الاحتفالات والمظاهر الرسمية، ينتقد في الوقت ذاته سياساتها الظالمة، مثل قمع السكان المحليين أو إهدار الأرواح في حملات عسكرية غير مدروسة، كما حدث في اليمن. هذا التناقض الظاهري بين التمجيد والنقد يعكس توازن النهروالي كمثقف بين الولاء للدولة ومحاولته تسليط الضوء على الأخطاء التي قد تقوض استقرارها.

إضافة إلى ذلك، يُظهر النهروالي وعيًا بأهمية العدالة والشرعية في تعزيز حكم الدولة العثمانية. فمطالبته بتعيين قضاة محليين وتثبيت حكام عرب في مكة يمكن تفسيرها كمحاولة لتعزيز الشرعية المحلية للحكم العثماني في المناطق العربية. كما أن نقده للظلم العسكري في اليمن ينبع من قناعته بأن الظلم يضعف بركة الدولة وقوتها، وهو تحليل يجمع بين البعد الأخلاقي والواقعي في آنٍ واحد.

باختصار، يشكل نص النهروالي مصدرًا مهمًا لفهم العلاقة بين السلطنة العثمانية وأطرافها البعيدة، حيث يُظهر كيف أن هذه العلاقة اتسمت بالتعقيد، فبينما كانت الدولة تسعى لفرض سلطتها من خلال المظاهر الرسمية والسياسات العسكرية، كان السكان المحليون يحاولون الحفاظ على استقلالهم النسبي والتأثير في سياسات المركز. هذا التفاعل بين المركز والأطراف يعكس ديناميكية الحكم العثماني وتحدياته في الحفاظ على تماسك إمبراطورية شاسعة متعددة الثقافات.

2- مؤلف محمد بن يحيى بن المطيب (القرن العاشر الهجري)،" بلوغ المرام في تاريخ مولانا بهرام" (ابن المطيب، محمد بن يحيى (القرن العاشر الهجري)، بلوغ المرام في تاريخ مولانا بهرام، (مخطوط)، توجد منه نسخه في باريس بدون رقم، وعنها نسخه مصوره في المكتبة التيمورية بالقاهرة تحمل رقم (2289)، وعنها نسخه مصوره في مكتبة الجامعة الأردنية تحمل رقم (45))

في البداية لا بد لنا من الإشارة إلى اننا لا نعرف الكثير عن ابن المطيب، فمعلوماتنا عنه من خلال ما كتبه هو عن نفسه في مؤلفه، وكذلك ما أورده عمر رضا كحاله في ترجمته له في مؤلفه (معجم المؤلفين) (كحاله، 1993، ص. 111) وما اورده الزركلي في كتابه الأعلام. (الزركلي، 2002، ص. 141)

ابن المطيب هو مؤرخ من مدينة زبيد في اليمن، ويتبع المذهب الحنفي (الزركلي، 2002، ص.141؛ سالم، 1971، ص. 52)، يرى المؤرخ اليمني مصطفى سالم أن ابن المطيب كان يشغل منصبًا دينيًا بارزًا في مسجد زبيد الكبير، مثل إمام، خطيب، أو واعظ، أو ربما كان من رجال الدين المتخصصين في زبيد بشكل عام. ويستدل سالم على ذلك من كثرة الإشارات التي يقدمها ابن المطيب في كتاباته إلى العلماء والفقهاء والأولياء في المدينة. كما يلفت إلى تكراره ذكر الأموال والصدقات التي كان بهرام باشا (**) يرسلها إلى علماء زبيد لتوزيعها على الفقهاء خلال المواسم والأعياد، مما يعكس انخراطه الوثيق في الشؤون الدينية والاجتماعية للمدينة. (سالم، 1971، ص. 52).

وهي" تشتمل على جمل محاسن مولانا صاحب السعادة"، أى بهرام باشا. وفي مقدمته قدم وصفا لمؤلفه وطريقة تقسيمه، فقال بعد البسملة " فهذا كتاب صغير الحجم بديع النظم عزيز الرسم قريب الفهم، جمعت فيه تاريخ بعض ايام الدولة العادلة العثمانية باليمن المعمور وما وقع به في تلك الايام من الفتح المشهور... في عهد السلطان سليم الثاني وعلى يد الباشا بهرام ... ألفته على ترتيب وترصيف.. وجعلت ضبطه على السنيين ليسهل حفظه على قارئه كل حين ورتبته على مقدمة وتتمة تلى ستة

DOI: https://doi.org/10.35682/mjhss.v40i4.

أبواب... قاصدا بذلك التقريب على الجماعة الطلاب وسميته بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا الباشا بهرام مستعينا على ذلك بالكريم الوهاب "(ابن المطيب، القرن العاشر الهجري، ص.1أ). يظهر ابن المطيب هنا توجهًا واضحًا نحو الدقة والتنظيم، حيث حرص على ترتيب مادته التاريخية وفق السنين، وهو ما يدل على وعيه بأهمية التوثيق المنهجي لتسهيل الرجوع إلى الأحداث واستيعابها. كما يتضح من وصفه للكتاب أنه كان يهدف إلى تقديم عمل يوازن بين الدقة والجمال الأدبي، فقد استخدم عبارات مثل "بديع النظم" و"عزيز الرسم" ليبرز تفرده الأسلوبي.

يظهر من اختياره للعنوان "بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا الباشا بهرام" ارتباطه الوثيق بالعثمانيين، حيث يعكس العنوان تقديرًا واضحًا لبهرام باشا ودوره في إدارة اليمن، وهو ما يتكرر في وصفه له في الخاتمة. هذا التقدير لا ينفصل عن سياق تأليفه، حيث سعى المؤلف إلى تقديم صورة مشرقة عن فترة ولاية الباشا، مستعينًا بنمط المديح الذي كان شائعًا في الكتابات التاريخية لتلك الفترة، فقد اهتم ابن الطيب في مؤلفه بابراز كل كبيرة وصغيرة من اعمال بهرام باشا العسكرية والادارية والمالية مع احاطتها بهالة من المبالغة، ونلاحظ انه يكرر عبارة تقليدية لوصف كل نصر يحرزه بهرام باشا، على انه من اعماله وفتوحاته الخاصة، التي لم يسبقها إليها أحد. (ابن المطيب، ص. 25أ، ب).

أما اسلوبه، فيغلب عليه السجع والعبارات اللفظية مع ذكر ابيات من الشعر، الى جانب الاستشهاد ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، كما يُبرز أسلوب ابن المطيب توجهًا تعليميًا، حيث أشار إلى أنه قصد "التقريب على الجماعة الطلاب"، مما يعكس اهتمامه بجعل كتابه أداة مفيدة للمتعلمين. هذا الجانب يشير إلى رؤيته للدور الاجتماعي للمؤرخ، ليس فقط كموثق للأحداث، بل كناقل للمعرفة ومساهم في التعليم.

وخلاصة القول، يعتبر ابن المطيب من المؤرخين الواضحين في تعاطفهم مع العثمانيين، ومن الذين تولوا الكتابة عن أحداث فترة وال معين او سلطان بذاته لقاء أجر أو هدية او للحصول على وظيفة من وظائف الدولة. كما يعد مؤلفه من الكتب ذات الحجم الصغير، فهو يقع في 57 ورقة من القطع الصغير.

3- مؤلف عبد الله بن صلاح بن داود بن داعر " الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية"، (ت1007هجري/ 1598 م). (مخطوط توجد منه نسخه في مكتبة راغب باشا باستنامبول تحت رقم (979)، ويوجد عنها نسخه مصوره في مكتبة الجامعة الأردنية تحمل رقم (155))

لا نملك معلومات وافية عن مولد المؤرخ ابن المطيب أو وفاته، كما لا نعرف موطنه الأصلي أو مكان ولادته ونشأته الأولى، كذلك، لم يشر ابن داعر إلى سيرته كما فعل بعض معاصريه، وكل ما نستخلصه من كتابه هو اسمه الكامل عبد القهار بن صلاح بن داود بن علي بن داعر، وبعض الإشارات عن الأسباب التي دفعته لتأليف كتابه والفترة التي قضاها في اليمن. يبدو أنه نشأ في بيئة علمية، وذكر في مقدمة كتابه شغفه منذ طفولته بمعرفة أخبار الأولين وقراءة كتب التاريخ، ما دفعه إلى الاطلاع على العديد منها في وقت مبكر. هذا الاهتمام الواسع بتاريخ البلدان وأحوالها شجعه على التجول وزيارتها، حيث زار مصر والحجاز، وعندما وصل إلى مكة، جذبه ما سمعه وقرأه عن اليمن من حيث ثرواته الطبيعية وفضائله (مخطوط ابن داعر، الفتوحات المراديه، ص1. أ، ب؛ سالم، 1971، ص. 39)، وبزيـارة هذه البلدان لمشاهدة آثارها واحوال سكانهـا بنفسـه فيقول: " ... فلما احطت بهذه الامور المحكية، وتلقيتها من أفواه الرجال، وبحثت عنها في معادنها من الكتب التاريخية ... أردت مشاهدة

ما أمكن مشاهدته بالعيان، ليكون اثبت لمستقر المواد العلمية، فأخذت في التنقل من اقطار تلك الاقاليم تارة في السفاين البحرية وطورا في المفاوز البرية.. " (مخطوط ابن داعر، الفتوحات المراديه، ص2أ، 2ب).

ونرى ان ابن داعر يذكر في مقدمة مؤلفه الدافع وراء تأليفه ، فقد ذكر كثيرا أنه اراد بكتابة مؤلفه تلك الفترة خدمة الدولة العثمانية وتسجيل اعمال السلطان مراد الثالث (مخطوط ابن داعر، الفتوحات المراديه، ص. 2ب) (1546– 1595)، وعبر عن ذلك صراحة بقوله: " فتلك دولة هي اتم ملكا في ساير الامم ، واهلها اثبت اكابر اهل الارض في الملك ... وسميته الفتوحات المراديه في الجهات اليمانيه، خدمت به سدة سلطان سلاطين الزمان ... وخاقان خواقين العصر والاوان ... مالك البرين والبحرين مولانا السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان ...". (مخطوط ابن داعر، ص. 3أ)

في مقدمة كتابه، يوضح ابن داعر المنهجية التي اتبعها في عرض الأحداث التاريخية، حيث يتبين من خلال قراءة نصه أنه جمع بين أسلوبين في التصنيف: الأول يعتمد على تقسيم الأحداث وفقًا للموضوعات، والثاني يعتمد على التسلسل الزمني أو الحوليات. ويشير ابن داعر إلى ذلك بقوله: "وقد رتبت هذا الكتاب على خمس مقدمات وثلاثة عشر بابًا، وذلك خلال عدة سنوات من ولاية مولانا الوزير حسن باشا – أبقاه الله – حتى سنة وضع هذا التاريخ الشريف وخاتمته." (مخطوط ابن داعر، ص.3أ، 3ب).

أما بالنسبة للمقدمات الخمس والفصول التي تضمنتها، فقد خصصها لذكر حكام اليمن منذ عهد آدم عليه السلام وحتى فترة حكم من تولى اليمن نيابة عن السلطان مراد – نصره الله –. هذا الأسلوب في الترتيب يعكس حرص ابن داعر على تقديم رؤية شاملة ومنظمة للتاريخ، حيث يجمع بين العمق الموضوعي والتسلسل الزمني، مما يسهل على القارئ تتبع الأحداث وفهمها في إطارها التاريخي والموضوعي. " (مخطوط ابن داعر، ص. 3أ، 3ب).

لقد خصص ابن داعر المقدمة الاولى، " لذكر خلافة آدم أبي البشر عليه السلام ثم خلافة بنيه من بعده" (مخطوط ابن داعر، الفتوحات المراديه، ص. 4ب)، اما المقدمة الثانية، تناولت ذكر انتشار أولاد نوح في الارض ثم ذكر من وصل منهم الى اليمن، ثم ملوك اليمن الاقدمين حتى ظهور الدعوة المحمدية. (مخطوط ابن داعر، ص6أ) والمقدمة الثالثة تبحث في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بشكل مفصل، ثم ذكر الخلفاء الراشدين وخلفاء بني امية،(مخطوط ابن داعر ، ص.31ب) بينما تبحث المقدمة الرابعة في ذكر الخلفاء العباسين ومن جاء بعدهم حتى دخول اليمن تحت السيطرة العثمانية (مخطوط ابن داعر، ص. 54 ب)، اما المقدمة الخامسة فهي خاصة بنشأة الدولة العثمانية، فذكر سلاطينها الواحد بعد الآخر حتى نهاية السلطان سليم الثاني(مخطوط ابن داعر ، ص201 ب)، فهذا يعد القسم الاول من المؤلف، أما القسم الثاني من المؤلف خصصه ابن داعر للحديث عن عهد السلطان مراد الثالث والوزير حسن باشا بشكل عام.

كما احتوى مؤلف ابن داعر على بعض المعلومات الاقتصادية والاجتماعية فقد اشار مثلا الى وقوع قحط بأرض اليمن في سنة 914هجري/1508م (مخطوط ابن داعر، الفتوحات المراديه، ص25 ب)، وكذلك وقوع زلازل في مدنية زبيد في (915 هجري/ 1509م .916 هجري/ 1510م). (مخطوط ابن داعر ص25 ب).

وكان ابن داعر أحيانا يقوم بتحليل بعض الاحداث وتفسيرها، فمن ذلك مثلا: فهو يذكر ان سبب تصرفات الولاة العثمانين السابقين في اليمن هي التي دفعت الأهالي الى الثورة (مخطوط ابن داعر، ص424 ب)، ونجد رغم تحيزه الواضح للدولة العثمانية انه ينتقد تصرفاتهم.

أما أسلوبه في كتابة مؤلفه، فقد اتسم بالسجع فعلى ما يبدو لإظهار قدرته على الكتابة، إضافة إلى ذلك انه كان دقيقا في تقسيمه له، فقد قسم مقدماته وابوابه الى فصول، وكان كل فصل منها صغيراً ومحدودًا، يتضمن موضوعًا معينًا، أو حادثة بذاتها.

وأخيراً يعتبر مؤلف ابن داعر من اهم المؤلفات التاريخية التي تناولت تاريخ اليمن منذ القدم حتى أوائل القرن السابع عشر ميلادي، إذ جمع فيه كل ما كتبه الاقدمون عن اليمن، الى جانب ذلك يعد مرجعًا أساسياً للمهتمين بدراسة اليمن في الفترة العثمانية وخصوصا في ولاية حسن باشا الوزير (1604/1580) *

والسلطان العثماني مراد الثالث فقد أنهى ابن داعر مؤلفه بوفاة السلطان مراد الثالث، بقوله:" وكان الفراغ من تأليف هذا التاريخ في اليوم الرابع والعشرين من شهر المحرم الحرام سنة عشر من بعد الالف" (مخطوط ابن داعر، ص430 ب).

٤ – مؤلف عبد الصمد بن اسماعيل الموزعي (وفاة والده 1022هجري/1613م)، "الاحسان في دخول اليمن تحت ظل آل عثمان". (عبد الصمد بن اسماعيل الموزعي، الاحسان في دخول اليمن تحت ظل آل عثمان، (مخطوط)، يوجد عنه مصورة في مكتبة الجامعة الأردنية تحمل رقم (220)، تحقيق سيام زيدان، الجامعة الأردنية، 1979م)

إن تاريخ ولادة ووفاة الموزعي ليست معروفة، فالمعروف لدينا هو تاريخ وفاة والده (1022هجري/ 1613م). تعود شهرة المؤرخ المعروف بالموزعي إلى ارتباطه بمدينة موزع التهامية، الواقعة جنوب زبيد وغرب ميناء المخا. مع ذلك، كان موطن إقامته هو وأسرته في مدينة تعز، كما أشار في كتابه عند ذكر والده، حيث وصفه بـ"نائب الشريعة في تعز". أضاف أن والده كان من أبرز العلماء والمربين، شغل التدريس في الجامع المظفري والمدرسة الطاهرية، إضافة إلى منصب النيابة الشرعية لنحو خمسة وأربعين عامًا. بعد وفاته، تولى المؤرخ نفسه وظيفة التدريس والنيابة الشرعية، مما يؤكد استقراره في تعز وارتباطه الوثيق بمؤسساتها الدينية والعلمية. (عبد الصمد بن اسماعيل الموزعي، الإحسان في دخول اليمن تحت ظل آل عثمان، (مخطوط)، يوجد عنه مصورة في مكتبة الجامعة الأردنية تحمل رقم (220)، تحقيق سيام زيدان، الجامعة الأردنية، 1979م).

بدأ الموزعي مؤلفه بمقدمة عامة عن بني عثمان، ذاكراً أسماء السلاطين وتاريخ ميلاد كل منهم، وينتقل الموزعي بعد ذلك الى الحديث عن الفتح العثماني لليمن معتبراً أن العثمانيين محررين ومنقذين أهل اليمن من الاختلاف والفوضى ابتداء، ومن الزيديه والبرتغاليين أيضاً، ويرى الموزعي ان هناك اربعة قوى تصارعت فيما بينها واثرت على احداث اليمن وهي:

القوة الزيديه (الموزعي، ص6 ب): نسبه الى زيد بن على بن الحسين بن على بن ابي طالب، وزيد هذا خرج على هشام بن عبد الملك سنة (121 هجري /738م)، وقتل سنة (122هجري/739م)، وقام ابنه بالثورة بعده، وتتابعت ثورات الزيديين فيما بعد حتى كونوا دولة طبرستان (250 هجري/ 862م –424هجري/ 1032م)، واسس الهادي الى الحق ابـن القاسم الرسي دولتهم في اليمن عندما هاجـر الى اليمن وبويع بالإمامـة سنة (284هجري /897م) واستقـر في صعده اقصـى شمـال اليمـن. (الزيدية، ص. 49)

بنو طاهر: (850 هجري /1446 م .954 هجري/ 1538م)، وهم اتباع المذهب السني الشافعي، ويعتبر عامر بن طاهر بن معوضة (870 هجري/1465م)، المؤسس الفعلي لدولتهم في زبيد (الموزعي، ص.8أ).

المماليك: الذين يسميهم الموزعي كغيره من المؤرخين المعاصرين له (اللوند): وهي القوة التي ارسلها السلطان المملوكي قانصوه الغوري (920هجري / 1515م)، من مصر لدفع الخطر البرتغالي عن سواحل الجزيرة العربية الجتوبية.(الموزعي، ص.8أ)

البرتغاليون (الموزعي، ص.8أ): يشير المؤرخ الموزعي إلى البرتغاليين، الذين يسميهم كما فعل غيره من معاصريه "البرتغال" و"الإفرنج"، موضحًا أن هؤلاء وصلوا إلى الهند عبر طريق رأس الرجاء الصالح في عام 904 هـ/1498 م. في سياق تحليله لدخول العثمانيين إلى اليمن، يركز الموزعي على عدة عوامل متداخلة كانت وراء هذا التدخل. أولاً، يشير إلى الأوضاع المتدهورة في اليمن نتيجة صراعات القوى المحلية، مثل الزيديين والمماليك والطاهريين، التي أدت إلى حالة من الفوضى وعدم الاستقرار. ثانيًا، يعزو التدخل إلى تهديد البرتغاليين للهند وسواحل الجزيرة العربية الجنوبية، وهو ما مثّل تحديًا استراتيجيًا خطيرًا.

من ناحية أخرى، يذكر الموزعي أن السلطان سليمان القانوني (تولّى السلطنة: 926هـ/1520م – توفّي: 974هـ/1566م) تلقى طلبات استغاثة من بهادور شاه، سلطان كجرات في الهند، ضد البرتغاليين، وكذلك من السلطان عامر الطاهري، الذي طلب الدعم العثماني في مواجهته للإمام الزيدي. كما يقدم سببًا إضافيًا يعتبره بالغ الأهمية، وهو انتصار العثمانيين لمذهبهم الرسمي، المذهب السني، الذي كان سائداً في المناطق الجنوبية والساحلية من اليمن، في مواجهة الطوائف الزيدية (الموزعي، ص.8أ). هذه العوامل مجتمعة، وفق تحليل الموزعي، دفعت العثمانيين إلى التدخل في اليمن لضمان استقرار المنطقة وحماية مصالحهم الاستراتيجية والدينية.

أما مصادر معلوماته فقد كانت متعددة، فأخذ معلوماته عن الفترة التي سبقت عهده، وعهد ابيه عن طريق السماع (الرواة)، ومقدمة كتابه أخذها من كتاب " الاعلام باعلام بيت الله الحرام " للنهروالي. ومن مصادره في مؤلفه سجلات محكمة تعز الشرعية، وقد سجل لنا منها، المنشآت العمرانية، التي انشأها االولاة والامراء في تعز ونواحيها، ثم ما اوقفه اولئك على هذه المنشآت، لضمان استمرارية وجود الدخل الكافي للصرف عليها وعلى القائمين عليها، مثل الاوقاف التي اوقفها محمود باشا على ضريح الهزاز بن عمر، وضريح أحمد السندي في تعز (الموزعي، ص.13أ)، والاراضي والبيوت والبساتين التي اشتراها سنان باشا واوقفها على قبر حسين امير تعز في عهد والده حسن باشا سنه (1002 هجري/1593م). وسجل الموزعي نوعاً آخر من الوقفيات، وهي التي اوقفها بعض الولاة او الامراء لصالح الفقراء، والمساكين أو المشتغلين في المساجد واماكن شعائر الدين (الموزعي، ص.25أ)، واشترى مراد باشا اراضي في البلاد وجعل وارد غلاتها لأجل إقامة (شعائر الدين) وما فضل منها، لإطعام من وفد تعز من الناس. وسجل لنا الموزعي أيضاً نوعاً ثالثاً من سجلات الشرعية وهي المكافأة (البراءة) ويكتبها الموزعي (البراه) التي قدمها عثمان باشا (976هـ/ 1568م) لأهل تعز عندما وقفوا لجانبه ضد الزيديين، وأخرجوهم من المدينة، فكافأهم بأن اعتبرهم من بيوت السلطنة" ... ليس عليهم بدعة ولا مضرة ولا ضيقة" (الموزعي، ص.17ب).

لقد ضمن الموزعي مؤلفه بتفصلات واسعة عن اهتمام الولاة والأمراء بعمران المدنية، ويظهر هذا الاهتمام في المنشأت العمرانية المختلف التي بناها اولئك في تعز من مساجد وقصور وتكايا ومآذن وسماسر (الفنادق) وغيرها. ومن بين المساجد التي بناها الولاة والأمراء في تعز مسجد الحوض الإشرف الذي بناه محمود باشا (968هـ/1560م)، أمير تعز في عهد الوالي حسن باشا في نهايه القرن العاشر الهجري (الموزعي، ص.28ب).

وسجل لنا الموزعي أيضاً بناء ثلاث سماسر، إحداها بناها علي أمير تعز في عهد مراد باشا (986هـ/ 1078م)، شرق المدينة، والثانية بناها مراد باشا شرقي سوق الملح في تعز، والثالثة بناها سنان باشا، وأوقفت عليها أوقافاً كثيرة (الموزعي، ص.25ب).

كما يذكر الموزعي، مدى اهتمام الولاة والأمراء، بشق الطرق وإصلاح السبل وبناء المدرجات للأحياء الشعبية في تعز وحفروا كذلك الآبـار ومسـالك المياه وأوصلوها إلى أحياء المدينة، مثلما فعل مـراد باشا حيث حفر بئراً وجعلها سبيلاً في المدينة (الموزعي، ص.28ب). سلك الموزعي طريقة الحوليات في تأريخه للحوادث، إذ يبدأ حوادث العام بقوله:" وفي عام كذا ...". وأما أسلوبه في كتابة مؤلفه، فقد غلب عليه الاسلوب القصصي المسجوع، وهي سنة معاصريه من الكتاب والمؤرخين.

وأخيراً يمكننا اعتبار كتاب الموزعي من أبرز المصادر التاريخية التي تسلط الضوء على اليمن خلال فترة الحكم العثماني الأولى (1538–1635م)، إذ يقدم رؤية شاملة للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها المنطقة. من خلال تحليله لتدخل العثمانيين، يبرز الموزعي العوامل الدينية والسياسية التي دفعت السلطان سليمان القانوني لدعم المناطق الجنوبية السنية في مواجهة الطوائف الزيدية، إضافة إلى استجابته لطلبات الاستغاثة من حكام الهند واليمن لمواجهة التهديد البرتغالي. هذه الرؤية تعكس فهم المؤرخ للتشابك بين المصالح الإقليمية والدينية في سياسات العثمانيين.

5– أحمد بن يوسف فيروز (مطالع النيران فى تاريخ اليمن) (صالحية، محمد عيسى، "رسالة في تاريخ اليمن: مطالع النيران لأحمد بن يوسف بن محمد بن فيروز، من مؤرخي القرن العاشر الهجري، "مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية – الإصدارات الخاصة ع 13 (1984): 3 –1).

أحمد بن يوسف هو مؤرخ يمني عاصر الفتح العثماني لليمن الذي بدأ في عام 1538م، وهو الحدث الذي أرخ له في كتاباته. تشير المخطوطة إلى أنه عاش حتى عام 1565م، وهي السنة التي توقف فيها تسجيل تاريخه، مما يوحي بأن هذه السنة قد تكون تاريخ وفاته أو توقف نشاطه التأريخي. من خلال كتاباته، يمكن استنتاج أن أحمد بن يوسف كان سني المذهب، وقد يكون من رجال الدين أو شخصية متدينة، حيث يظهر في نصوصه اهتمام بالشؤون الدينية والشرعية. كما تشير المخطوطة إلى أنه كان من أمالي وسط الهضبة اليمنية، وهي منطقة جغرافية تتميز بموقعها الاستراتيجي وتأثيرها الثقافي والديني في اليمن. يمكن إضافة أن الفترة التي عاش فيها أحمد بن يوسف كانت فترة تحولات كبرى في اليمن، حيث شهدت البلاد صراعات سياسية ودينية بين القوى المحلية والقوى الخارجية، خاصة مع دخول العثمانيين الذين سيطروا على مناطق واسعة من اليمن. وقد يكون أحمد بن يوسف قد لعب دورًا في توثيق هذه الأحداث من منظور سني، مما يجعله مصدرًا مهمًا لفهـم التاريخ اليمني فـي تلك الفترة. (سالم، 1971، ص. 49).

أسلوب الفيروزي في مطالع النيران يتميز بجمعه بين الاستشهاد بالنصوص الدينية والتاريخية من جهة، واعتماد السرد القصصي والتحليل السياسي من جهة أخرى. فقد أكثر المؤرخ من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة والأشعار، مستهدفًا بذلك التنبيه إلى القيم الأخلاقية للحكم، مثل العدل والحكمة والشورى، وأهمية حسن معاملة الرعية. ومع ذلك، فإن هذا الإكثار يعكس أيضًا سعة ثقافته واطلاعه على معارف عصره، مما عزز قدرته على تحليل الأحداث وروايتها بأسلوب يجمع بين التوثيق والتأمل.

لم يتقيد الفيروزي بأسلوب واحد في تأريخه، إذ استخدم أسلوب الحوليات في تسجيل بعض الأحداث، حيث وثّقها باليوم والشهر والسنة، كما يظهر في بعض أوراق مخطوطه. ورغم أن كتابه صغير الحجم ومختصر، إلا أنه يتميز بدقة في نقل الأحداث، مع تجنب الإسهاب الذي اتسمت به كتابات بعض معاصريه. ويبدو أن الفيروزي كان من أكثر المؤرخين اعتدالًا وموضوعية في زمنه، حيث أظهر إنصافًا حتى عند الحديث عن الخصوم السياسيين، مثل الأئمة الزيديين، الذين أشار إليهم بألقابهم المعروفة،

مستخدمًا لقب السيد أو السادة قبل أسمائهم. (صالحية، 1984م، ص. 50، 51، 59، 60) وحتى في انتقاده للإمام شرف الدين، لم يستخدم أسلوب الشتائم، بل ركّز على تقصيره الإداري وتأثير ذلك على ضعف الحكم الزيدي أمام العثمانيين. كما أنه قدّم تحليلًا دقيقًا لنجاح العثمانيين في السيطرة على اليمن، موضحًا دور النزاعات الداخلية بين أبناء شرف الدين في تسهيل تقدم القوات العثمانية. (صالحية، 1984م، ص. 53–54) أما فيما يتعلق بأسلوبه السردي، فقد مال الفيروزي إلى السرد القصصي، وهو أحد الأساليب التي برزت لدى المؤرخين المسلمين. كما أظهر ميلًا واضحًا إلى الوعظ والإرشاد، مستخدمًا التاريخ كوسيلة للعبرة والاعتبار، حيث أكثر من تحليل الأحداث والتعليق عليها، مستشهدًا بالنصوص الدينية، بل وكان يتوقف أحيانًا عن السرد التاريخي ليسرد قصصًا عن الأنبياء والصالحين، بهدف تعزيز المفاهيم التي يريد توضيحها. بعض هذه القصص كانت تستغرق عدة صفحات، مما يبرز طابعًا تربويًا في عمله. (صالحية، 1984م، ص. 53، 54، 90، 98، 100، 104).

منهج الفيروزي في ترتيب الأحداث اعتمد على تسلسل الولاة، مع الحرص على التوقيت الدقيق وتسجيل التواريخ، إلا أنه لم يخرج عن أسلوبه العام القائم على السرد القصصي. وإلى جانب اعتداله وموضوعيته، اتسم بالدقة والحذر في جمع الأخبار، مما يجعل القارئ لكتابه يشعر بأنه كان واعيًا بالظروف السياسية المحيطة به، وحريصًا على انتقاء المعلومات التي يوردها. هذه الدقة جعلت البعض يعتقد بأنه كان زيديًا، رغم أنه كان يميل إلى ممالأة العثمانيين، ربما لاعتبارات سياسية.

يعد مطالع النيران نموذجًا للتاريخ المحلي، إذ ركّز على اليمن دون محاولة ربط الأحداث بالسياق العثماني العام. لم يدرس الفيروزي تأثير التطورات في إسطنبول أو مصر أو الحجاز على اليمن، بل تكاد تكون روايته مقتصرة على حدود اليمن، لولا بعض الإشارات المتفرقة إلى السلطان العثماني. كما أن محاولاته في توثيق مصادره كانت محدودة، رغم أنه في بعض المواضع أشار إلى أنه ينقل عن أشخاص يثق بهم، (صالحية، 1984م، ص. 87) مما يعكس وعيًا بأهمية الرواية الشفهية في نقل الأحداث.

بالمجمل، يتسم أسلوب الفيروزي في مطالع النيران بالجمع بين الموضوعية في الطرح، والسرد القصصي، والوعظ والإرشاد، مع التزام بالدقة في نقل المعلومات، مما يجعله مصدرًا مهمًا لفهم التطورات السياسية في اليمن خلال تلك الفترة.

يتّسم أسلوب المؤرخ في تناوله للدولة العثمانية بالمبالغة في تمجيد ولاتها، إذ يضفي عليهم ألقابًا تتجاوز طابعها الرسمي، فيصف الباشا بـ"شهير عظيم خطير"، أو "الأمير الكبير، الباشا العظيم الخطير العادل ازدمر"(صالحية، 1984م، ص. 57–58، 66)، بينما يمنح السلاطين ألقابًا فخمة مثل "مولانا السلطان الأعظم، خادم الحرمين الشريفين(صالحية، 1984م، ص. 58، 64، 72)، ملك اليمنيين، المتيقن، الخاقان المكرم، مالك ملوك العرب والعجم".(صالحية، 1984م، ص. 61) هذه الصياغة تكشف انحيازه الشديد للعثمانيين، وهو انحياز لا ينسجم بالضرورة مع موقف كثير من المؤرخين اليمنيين، الذين نظروا إلى الوجود العثماني باعتباره احتلالًا أفضى إلى مقاومة قادها الإمام شرف الدين وابنه المطهر.

يتجلى هذا الانحياز بشكل أوضح عند تصويره للأحداث الدامية، إذ يسعى إلى تخفيف وطأة الجرائم التي ارتكبها الولاة العثمانيون. (صالحية، 1984م، ص. 98) فعندما أباح ازدمر باشا لجيشه نهب صنعاء وقتل أهلها لثلاثة أيام، يصوره المؤرخ وكأنه نادم، إذ بعد ساعة واحدة فقط "ألقى الله في قلبه الرحمة والرأفة"(صالحية، 1984م، ص. 60)، فخرج يصرخ في الشوارع، واضعًا منديلاً حول عنقه، يأمر بوقف سفك الدماء، وكأن الفوضى التي أطلق عنانها لم تكن سوى خطأ عابر تداركه الوالي

العثماني بحسّه الإنساني. غير أن هذا التصوير يتعارض مع الروايات المحلية التي تؤكد أن النهب استمر كامل المدة، وأن الوالي لم يحرك ساكنًا إلا بعدما نال العسكر مرادهم. (صالحية، 1984م، ص. 57–60)

ويبلغ هذا التحيز ذروته عند تناوله لسيرة محمود باشا، الذي عُرف بغدره وظلمه إلى حد أنّ أهل اليمن ضربوا به الأمثال، فقالوا عن الغدر إنه "ممحوديّ"، في إشارة إلى خيانته لعلي النظاري، التي بقيت وصمة عار في التاريخ اليمني. ورغم ذلك، يقدم لنا المؤرخ صورة مغايرة تمامًا، إذ يجعل من قدوم محمود باشا بركة على اليمن، وينسب إليه إصلاح أمور الرعية، محمّلًا الضحية مسؤولية ما جرى له، في تجاهل واضح للحقائق المتداولة عن بطش هذا الوالي.

لكن رغم هذا الانحياز السياسي، يبرز المؤرخ اهتمامًا بالمجتمع اليمني وأحواله الاقتصادية، على غرار مؤرخي المدرسة الإسلامية الذين لم يقتصروا على تسجيل الحوادث السياسية، بل تناولوا أيضًا الجوانب العمرانية والاجتماعية (صالحية، 1984م، ص. 81، 100–101، 103–104). في هذا السياق، يقدّم وصفًا دقيقًا لمجاعة 961–962هـ، حين اجتاح الجراد اليمن فأتى على محاصيله، فاضطر الناس إلى أكل الأشجار، ومات الآلاف جوعًا ووباءً، حتى بات النعش الواحد يحمل أربعة أو خمسة رجال دفعة واحدة. (صالحية، 1984م، ص. 90–91) يتميّز هذا السرد بأسلوب بسيط لكنه مؤثر، إذ ينقل المعاناة بلغة قريبة من وجدان القارئ، دون أن يغفل عن الإطار الديني الذي يضفي عليه طابع العبرة والاتعاظ، وهو نهج شائع بين المؤرخين المسلمين الذين رأوا في التاريخ مجالًا للاعتبار أكثر منه مجرد تسجيل للأحداث.

ومن جانب اخر، يبرز الفيروزي أيضًا الدمار الذي أحدثه العسكر العثماني، إذ اجتمع بعض أفراد لوندة العسكر واتفقوا على قتله، معلنين تمرّدهم عليه في قلب مدينة صنعاء. تحالفوا وتعاهدوا على تنفيذ خطتهم، فأغلقوا أبواب المدينة، وهاجموا منازل عدد من أمراء السناجق البارزين، ونهبوها، كما أقدموا على قتل أحد الأمراء في ديوانه. وأمام هذا الوضع، عانى الأمير أمرزة من ضغوط شديدة، لكنه حظي بدعم أعيان صنعاء وكبار شخصياتها، الذين شدّوا من أزره وقووا عزيمته. إثر ذلك، خرج الأمير أمرزة إلى الميدان الواقع أسفل قصر صنعاء، حيث رفع السناجق ونشر الرايات السلطانية. (صالحية، 1984م، ص. 99).

أما في تناوله لتاريخ الزيديين، وعلى الرغم من ولائه الواضح للعثمانيين، فقد حاول المؤرخ التزام جانب من الحياد عند حديثه عن الإمام شرف الدين وابنه المطهر. فهو لم يتجاهل إنجازاتهما وما قدماه للأمة، لكنه في الوقت ذاته لم يغفل عن توجيه النقد لهما، خاصة فيما يتعلق بإهمالهما للرعية في بعض الفترات. ومن اللافت أن موقفه تجاه الزيديين جاء متذبذبًا، إذ تراوح بين المدح والذم، فأحيانًا يظهرهم كقادة مصلحين حملوا راية الدفاع عن اليمن، وفي أحيان أخرى يوجه إليهم اللوم بسبب بعض السياسات التي يرى أنها أضرت بالرعية. هذه الازدواجية تعكس محاولته إيجاد توازن بين الانحياز للسلطة العثمانية وبين تقديم رواية تحفظ له قدرًا من الموضوعية عند الحديث عن القوى المحلية المنافسة. (صالحية، 1984م، ص. 81، 88–89).

يتضح إذًا أن المؤرخ، رغم قدرته على تصوير الأحداث الاجتماعية والاقتصادية بدقة، وقع في فخ الانحياز السياسي عند حديثه عن العثمانيين، حيث بالغ في تمجيدهم وتبرير أعمالهم، في مقابل تقديم رؤية متذبذبة تجاه الزيديين، بين الاعتراف بمكانتهم وانتقاد سياساتهم. وهذا يعكس كيف أن التأريخ في تلك الفترة لم يكن مجرد نقل للأحداث، بل كان أداة لصياغة صورة سياسية تتناسب مع هوى المؤرخ ومصالح القوى التي يكتب عنها.

6- مؤلف شرف بن عبد المحسن البركاتي،" الرحلة اليمانية" (البركاتي، 1384هـ/1964-1965م)

الشريف شرف البركاتي، الذي يعود نسبه إلى جده الشريف بركات الثالث بن محمد، كان من كبار الأشراف في إمارة الشريف حسين بن علي على مكة المكرمة، حيث برز كعلمٍ من أعلامهم وصاحب نفوذ واسع بينهم. (البركاتي، 1384هـ/1964-1965م، ص. 10) وُلِد عام 1283هـ/1864م تقريبًا في قرية أبو عروة، ونشأ في كنف والده عبد المحسن، أمير وادي مر الظهران، المعروف اليوم بوادي فاطمة. تلقى تعليمه وفق الأسلوب التقليدي السائد آنذاك، حيث التحق بكتّاب القرية في مسجد جده حازم بن غالب البركاتي، ثم تابع تحصيله في حلقات العلم بالمسجد الحرام في مكة المكرمة. (البسام، 1419هـ، ص. 123).

عُيّن الشريف شرف البركاتي قائم مقام لإمارة مكة المكرمة في 10 محرم 1335هـ/12 نوفمبر 1916م، خلال عهد الشريف حسين بن علي الهاشمي. وقد شهد له الشيخ محمد نصيف بالنزاهة والحرص على إقامة العدل، إذ كان يقضي بين الناس من أهل البادية في قصر الإمارة، ولا يُصدر حكمًا إلا بحضور أحد علماء مكة للفتوى، لضمان توافق الأحكام مع الشريعة الإسلامية. (جريدة القبلة، العدد 240، 10 محرم 1335هـ / 5 نوفمبر 1916م؛ جريدة القبلة، العدد 940، 20 رمضان 1335هـ / 9 يوليو 1917م).

لاحقًا، في 29 محرم 1337هـ، تقلد منصب "معتمد" في الوكالة العربية الهاشمية بالقاهرة. (جريدة القبلة، العدد 390؛ الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، ج 5، ص 485؛ مملكة الحجاز، ص 79).

من أبرز أعماله كتاب "الرحلة اليمانية لصاحب الدولة أمير مكة المكرمة الشريف حسين باشا وأعماله في محاربة الإدريسي"، الذي نُشر عام 1912م. يُوثق الكتاب رحلة الشريف حسين بن علي إلى اليمن لمواجهة ثورة الإدريسي، ويقدم وصفًا جغرافيًا للبلاد العربية وقبائلها.

تميّز أسلوب البركاتي بالدقة والتفصيل، حيث اعتمد في كتاباته على المشاهدة المباشرة والبحث الميداني، مما أضفى على أعماله مصداقية عالية وجعلها ذات قيمة علمية كبيرة. لم يقتصر اهتمامه على تدوين الأحداث التاريخية فحسب، بل أولى عناية خاصة بتوثيق العادات والتقاليد وأساليب الحياة اليومية، ما جعل كتاباته ثرية بالمعلومات الإثنوغرافية التي تُعين الباحثين في دراسة المجتمعات المحلية وتحولاتها عبر الزمن.

إلى جانب ذلك، عُرف البركاتي بقدرته على ربط الوقائع التاريخية بسياقاتها الجغرافية والاجتماعية، حيث سعى إلى تقديم صورة متكاملة تعكس ديناميكيات التفاعل بين السكان والسلطة العثمانية. كما أن أسلوبه التحليلي واتساع مصادره جعلا أعماله مراجع أساسية للدارسين المهتمين بتاريخ الجزيرة العربية خلال الحقبة العثمانية، خاصة في ما يتعلق بعلاقات القبائل بالسلطة العثمانية والأوضاع السياسية والاقتصادية للمنطقة في تلك الفترة.

لا يمكن ان نعد مؤلف شرف بن عبد المحسن البركاتي " الرحلة اليمانية " من المؤلفات المنحازة للدولة العثمانية، نظراً لانه غير يمني الأصل، كما ان المؤلف عبارة عن رحلة يصف فيها المناطق التي كان يمر بها. ومن ذلك على سبيل المثال: قدم وصفا للجبال والاودية والمزروعات التي مر بها، ومن الاماكـن التي وصفها وصفا يدل على خصبها وادي تربة قال ان فيه نهرا كبيرا، وعـد النخيـل في قراه أكثر مـن مئتي ألـف نخلـة وفيـه بسـاتيـن المـوز والليمـون والعنـب وغيـر ذلـك. (البركاتي، 1384هـ، ص. 58).

وصف في مؤلفه كذلك، الحرب التي قامت بين الجيش العثماني بقيادة الشريف حسين بن على وبين السيد محمد بن علي الادريسي وقبائل بلاد عسير، ويرى المؤلف ان الثورة التي قام بها الادريسي على الدولة العثمانية بأنها فتنة، ويذكر ايضا ان القبائل التى شاركت الى جانب الادريسي في محاربته للدولة العثمانية قد غرر بها، وان للدول الاجنبية كإيطاليا وغيرها كان لها دور في هذا، وذلك ان السلاح والامدادات كانت تأتي له من هذه الدول عن طريق الموانئ الأجنبية، حيث يقوم الاجانب بتحريض هؤلاء ضد الدولة العثمانية لما يحملوه في نفوسهم من حقد وكراهية اتجاه هذه الدولة، ويعتبر البركاتي بأن الادريسي مارق عن الدين وذلك لتأليبه القبائل ضد الدولة العثماني.

يُظهر وصف قامت بين الجيش العثماني وبين السيد محمد بن علي الادريسي انحيازًا واضحًا للسلطة العثمانية، حيث يعكس رؤية المؤلف التي تتبنى الخطاب الرسمي للدولة العثمانية في تصوير حركات التمرد ضدها بوصفها "فتنًا" بدلاً من اعتبارها حركات مقاومة مشروعة. إن استخدامه لمفردات مثل "فتنة" و"المروق عن الدين" يكشف عن موقف أيديولوجي يسعى إلى نزع الشرعية الدينية والسياسية عن حركة السيد محمد بن علي الإدريسي، متجاهلًا السياقات المحلية التي أدت إلى نشوء هذه الحركة، والتي لم تكن مجرد صراع مذهبي أو سياسي، بل جاءت كردّ فعل على السياسات العثمانية في المنطقة.

كما يعكس الوصف توجّهًا تقليديًا شائعًا في المصادر العثمانية والمقرّبة من السلطة، حيث يتم تصوير القوى المحلية المعارضة باعتبارها جهات مغرّر بها أو أدوات في يد القوى الأجنبية، مما يتجاهل الدوافع الداخلية لهذه الحركات ويختزلها في تفسيرات خارجية. إن إلقاء اللوم على التدخل الأجنبي، مثل الإشارة إلى إيطاليا والموانئ الأجنبية، قد يكون فيه شيء من الواقعية نظرًا للمصالح الاستعمارية في المنطقة، إلا أن ذلك لا يُلغي حقيقة أن الإدريسي تمكّن من بناء نفوذ داخلي قائم على تحالفات محلية رافضة للسياسات العثمانية.

علاوة على ذلك، فإن تصوير الإدريسي كـ "مارق عن الدين" يعكس توظيفًا دينيًا للخطاب السياسي، حيث يُستخدم الدين كأداة لنزع الشرعية عن الخصوم السياسيين، وهي استراتيجية شائعة في الخطاب العثماني تجاه المعارضين المحليين. غير أن هذا الطرح يتجاهل حقيقة أن الإدريسي نفسه كان يستند إلى شرعية دينية من خلال موقعه كزعيم محلي يتمتع بدعم عدد من القبائل التي لم تكن ترى في الحكم العثماني تمثيلًا لمصالحها.

بالتالي، فإن هذا الوصف يفتقر إلى التوازن، حيث يُغفل وجهة نظر الإدريسي والقبائل التي دعمته، ويعتمد على السردية الرسمية التي تحاول تبرير فشل العثمانيين في احتواء المعارضة المحلية، بدلًا من تحليل أسباب الصراع بموضوعية تأخذ بعين الاعتبار العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أدّت إلى اندلاع المواجهة.

المأخذ التي تؤخذ على المؤلف، ابرازه لمواقف الشريف حسين وانجاله والقوات المجتمعة تحت قيادته، مع ان هذه القوات لم تجمع الا بأموال الدولة العثمانية، إذ انه لولا مساعدة الجيش والاسطول العثماني لما استطاع الشريف حسين دخول عسير.

الخاتمة:

كشفت دراسة حركة التأليف التاريخي المؤيد للدولة العثمانية في اليمن خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر عن الدور المحوري للكتابات التاريخية في تشكيل صورة السلطة العثمانية وتبرير وجودها في المنطقة. فقد سعى المؤرخون المرتبطون بالسلطة العثمانية إلى إبراز إنجازات الدولة في فرض النظام، وإصلاح الإدارة، وتعزيز الأمن، متجاهلين في كثير من الأحيان المقاومة المحلية وسياسات الجباية التي أثارت استياء القبائل والسكان. وقد جاءت هذه الروايات التاريخية محمّلة برؤية رسمية،

حيث قدّمت الحكم العثماني بوصفه امتدادًا للخلافة الإسلامية، وركّزت على دور السلطنة في حماية البلاد من الفوضى والصراعات الداخلية، بينما صوّرت القوى المحلية المعارضة، وعلى رأسها الأئمة الزيديون، على أنهم متمردون يسعون إلى تقويض الاستقرار.

لم تكن هذه المصادر مجرد روايات محايدة للأحداث، بل كانت جزءًا من خطاب سلطوي يهدف إلى شرعنة الوجود العثماني في اليمن، مستخدمةً لغةً تبرز الدولة بوصفها الحامية للإسلام والمسؤولة عن نشر العدل والتنمية. في المقابل، تم تصوير القوى المحلية المعارضة، ولا سيما الأئمة الزيديين، على أنهم متمردون يسعون إلى زعزعة الاستقرار. وقد تجلّى هذا الخطاب في كتابات بعض المؤرخين العثمانيين الذين بالغوا في تصوير نجاحات الإدارة العثمانية في اليمن، مثل فرض الأمن وإقامة المشروعات العمرانية، في مقابل التقليل من أهمية المقاومة المحلية أو تصويرها على أنها مجرد حركات خارجة عن القانون.

ورغم أنّ هذه الانقسامات تبدو جزءًا من الماضي، إلا أنّ تأثيرها لا يزال حاضرًا في الدراسات الحديثة، حيث يجد الباحث نفسه أمام سرديات متناقضة تحتاج إلى تحليل نقدي يتجاوز الاصطفاف السياسي والمذهبي، ويبحث في طبيعة التفاعلات الاجتماعية والاقتصادية التي أسهمت في تشكيل الأحداث. فإعادة قراءة هذه المصادر لا ينبغي أن تقتصر على تصنيفها وفقًا لانحيازاتها، بل يجب أن تتناول السياقات الفكرية والثقافية التي أسهمت في تشكيلها. ومن هنا، يصبح من الضروري اعتماد مقاربة نقدية تُخضع هذه الكتابات للتحليل، لا بهدف نفيها أو تبنيها، بل لفهم آليات إنتاجها وعلاقتها بالواقع التاريخي، مما يتيح لنا استيعابًا أعمق للتحولات السياسية والاجتماعية التي شهدها اليمن في ظل الحكم العثماني.

الشكر والتقدير:

يتقدم الباحث بالشكر والتقدير إلى الجامعة الأردنية على ما قدمته من دعم أسهم في إنجاز هذا البحث، والذي أُنجز خلال سنة التفرغ العلمي التي مُنحت له خلال العام الجامعي 2024/2023.

الوثائق:

الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (د.ت)، (485/5، 525)، مملكة الحجاز، ص79.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن المطيب، محمد بن يحيى (د.ت)، بلوغ المرام في تاريخ مولانا بهرام، مخطوط.

البركاتي، شرف عبد المحسن(1384هـ)، *الرحلة اليمانية للشريف الحسين بن علي*، دار الوراق للنشر، بيروت.

البسام، عبد الله (1419هـ)، *معجم المؤلفين السعوديين*، دار العلوم، الرياض.

سالم، مصطفى (1971)، المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول (1528–1635م)، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مصر.

الزِّرِكْلِي، خير الدين، *الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء*، ج7، دار العلم للملايين، بيروت.

الزيديه، السياغي، الروض النفير شرح مجموع الفقه الكبير، ج1.

الحسني، عبد الحي فخر الدين(1999) ، *نزهة الخواطر*، دار الفكر، القاهرة.

صالحية، محمد عيسى، "رسالة في تاريخ اليمن: مطالع النيران لأحمد بن يوسف بن محمد بن فيروز، من مؤرخي القرن العاشر الهجري"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية– الإصدارات الخاصة، المجلد العاشر، العدد الثالث عشر، ص 3–136.

كحّالة، عمر رضا (د.ت)، *معجم المؤلفين*، ج12، بيروت.

الموزعي، عبد الصمد بن إسماعيل (1979)، الإحسان في دخول اليمن تحت ظل آل عثمان، تحقيق سيام زيدان، الجامعة الأردنية، عمان.

النهروالي، قطب الدين، 1967 (د.ت)، البرق اليماني في الفتح العثماني.

المراجع باللغه الإنجليزيه:

al-Ḥasanī: Nuzhat al-ḫawāṭir. 1999, Bd. I, S. 405a; Wüstenfeld: Die Chroniken der Stadt Mekka. 1857, Bd. III, S. VI.

Raḍī ad-Dīn Ibn al-Ḥanbali: Durr al-Ḥabab fī tārīḫ aʿyān Ḥalab. 1973, p. 439.

Avçin, M. (2017). Nihâlî'nin Fetih-Nâme-i Yemen İsimli Mesnevisi. *Uluslararası Sosyal Araştırmalar Dergisi, 10*(50), 16–24.

Buz, A. (2009). *Osmanlı Sadrazamları*. İstanbul: Neden Kitap.

Elsie, R. (2013). *A Biographical Dictionary of Albanian History*. London: I.B Tauris & Co. Ltd.

Kaçan Erdoğan, M. (2010). XVI. Yüzyılda Halep'te Bir Osmanlı Vakfı: Behram Paşa Külliyesi. *Türk Kültürü İncelemeleri Dergisi, 22*, 1–29.

Kaleshi, H. (1981). Sinan Pascha. In *Biographisches Lexikon zur Geschichte Südosteuropas* (Bd. 4, pp. 128–130). München.

Kurt, H. (2013). Yemen. In *Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi*, 43, 414–416.

Süreyya, M. (1996). *Sicill-i Osmani*. İstanbul: Kültür Bakanlığı & Türkiye Ekonomik ve Toplumsal Tarih Vakfı.

Tuchscherer, M. (2000). Chronologie du Yémen (1506–1635). *Chroniques yéménites*, 8.

Wüstenfeld. (1857). *Die Chroniken der Stadt Mekka* (Bd. III, p. VI).

Yılmaz, M. (1999). Sinan Paşa (Koca). In *Yaşamları ve Yapıtlarıyla Osmanlılar Ansiklopedisi*, Vol. 2, pp. 544–545.

الصحف:

«جريدة القبلة» العدد (240) بتاريخ 10 محرم سنة 1335هـ /1916/11/5م. السنة الأولى، والعدد (940) بتاريخ 20 رمضان سنة 1335هـ/ 1917/7/9م.

«جريدة القبلة» العدد (390) بتاريخ 20 رمضان سنة 1338هـ/ 1920/6/7م السنة الرابعة، والعدد (407) بتاريخ 24 ذي القعدة سنة 1338هـ/ 1930/8/8م السنة الرابعة.